قضيـة الصلب والتثليـث
عنـد
النصـارى
ومـوقف الإسـلام منـها

بقلم
الدكتـور / إبراهيم عبدالرحمن عتلم
أستـاذ الدعوة المساعد

الحمد لله الواحد الأحد .. انفرد وحده بالإلهية .. واختص دون سواه بكل صفات الكمال والجلال .. فرد صمد .. لم يلد .. ولم يولد .. ولم يكن له كفوا أحد .. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له تنزه عن الصاحبة والولد .. وأصلى وأسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد أرسله ربه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .. اللهم صلى وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أئمة الهدى ومصابيح الرشاد .

« أما بعد »

فقد هبط آدم عليه السلام إلى الأرض ليتولى مهمة الخلافة بعد أن اجتباه ربه وتاب عليه وهدى ، وبدل عصيانه إلى طاعة ، وغوايته إلى هدى ، قال جل شأنه :

[... وعصى آدم ربه فغوى ، ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ، قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو ، فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى] (١) فبدأت الأسرة الإنسانية مسيرتها على التوحيد المطلق لله رب العالمين ترجمة وتحقيقاً للفطرة التى فطر الله الناس عليها ، وأخبر عنها بقوله سبحانه :

[وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا : بلى شهدنا .. أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين] (٢) .

واستمرت البشرية على التوحيد والوحدة ردحاً من الزمن دون اختلاف .

أول اختلاف فى الأسرة الإنسانية :

ولكن سرعان ما دب الخلاف ، وتطرق الانحراف بين أفراد الأسرة الواحدة حين فرح الإنسان بعلمه ، واستقل بعقله ، وبعد عن ربه ، ومال إلى شيطانه .. « ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه » (٣) .

فكان أول اختلاف فى الأسرة البشرية – بين الأفراد على الأرض – بسبب متاع الدنيا وحطام الأرض : كما ذكره رب العزة فى قصة ابنى آدم بالحق . لما بغى « قابيل » بعلمه ، وشيطانه ، وبدل بزرعه أو ضرعه أو قربانه ، وأراد أن ينفرد عن أخيه « هابيل » بسلطانه ...

فقتله عن علم ، وقصد ، وإنذار ، وهو يعلم الجزاء ، والظلم ، والإثم والنار .. بل

---

(١) سورة طه : ١٢١ ، ١٢٣ .

(٢) سورة الأعراف : ١٧٢ .

(٣) سورة يونس الآية : ١٩ .

ويعلم عقاب الله القوى الجبار ..
ولذا عاقبه الله فى الدنيا بالخسران .

أول إنحراف إيمانى فى الأمة الإنسانية :

ثم بدأ الاختلاف يدب إلى الأمة الواحدة ، بعد أن تكونت الأمة على التوحيد .. كما بدأ الشقاق والانحراف - من قبل - يتطرقان إلى الأسرة الإنسانية فى أوائل التكوين كما أشرت .. وقد سجل ذلك رب العزة في كتابه الحق .. { وما كان الناس إلا أمة واحدة ، فاختلفوا ، ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون } (١) .

وتوالت الحلقات الدينية ، كدين نوح ، وملة إبراهيم ، وموسى ، وعيسى .. وكان تمامها الإسلام .

وأنزل الله سبحانه الكتب ، الصحف ، والزبور ، والتوراة ، والإنجيل .. وكان تمامها هو القرآن .

والغاية من هذه الرسالات السماوية التى تنزلت من قبل الحق تبارك وتعالى واختص بها - من اصطفى من عباده - أنبياءه ورسله هى : أن يعرف الناس أن لهذا الكون إلها واحدا .. مالك الملك .. خالق كل شئ .. واجب الوجود واحد فى ذاته وصفاته .. وأن هذا الإله هو الذى يجب أن يتوجه إليه الناس بالعبادة .. فيعبدوه ولا يشركوا به شيئا .

ومن أجل هذه الغاية توالت رسالات الله تترى على البشرية كما قال الحق تبارك وتعالى : { ثم أرسلنا رسلنا تترى } (٢) فما من نبى ولا رسول إلا وقال لقومه : { يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره } (٣) وهذا ما أخبر الحق تبارك وتعالى به نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بقوله : { وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون } (٤) .

هكذا نرى أن الهدف الأساسى من كل الرسالات السماوية من لدن آدم ونوح عليهما السلام إلى خاتم النبيين والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .. التوحيد المطلق لله رب العالمين .. الإيمان بالله وحده ، وإفراده سبحانه بالألوهية ، وتنزيهه عن الشريك ، والصاحبة والولد ..

---

(١) سورة الأعراف جزء من الآية ١٧٦ .
(٢) سورة المؤمنون من الآية ٤٤ .
(٣) سورة هود من الآية ٥٠ .
(٤) سورة الأنبياء ٢٥ .

والمسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، واحد من هؤلاء المصطفين الأخيار الذين كلفوا بتبليغ دعوة التوحيد إلى الناس ، كانت رسالته شأن من سبقها من الرسالات السماوية - الدعوة - إلى التوحيد المطلق لله رب العالمين ، والإيمان به وحده ، وإفراده سبحانه بالألوهية ، وتنزيهه عز وجل عن الشريك والصاحبة والولد ، فقد دعا عيسى عليه السلام قومه بني اسرائيل إلى التوحيد قائلاً : { يا بنى إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم } (١) . وبين لهم عاقبة الشرك قائلاً : { إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار } (٢) .

تلك كانت رسالة المسيح الحقيقية التي دعا قومه إليها في أثناء حياته وآمن بها الحواريون - تلاميذ المسيح - وأعلنوا ذلك صراحة إذ قالوا لعيسى عليه السلام كما أخبر القرآن الكريم { آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون } (٣) .

ولم يكن عيسى بهذه الدعوة خارجا عما جاء به موسى لبنى اسرائيل قومه ، ولكن جاء يمشى على شريعة موسى عليه السلام كما هو ظاهر من نصوص القرآن الكريم حيث قال المسيح لبنى إسرائيل : { يا بنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوارة } (٤) .

وما جاء من نصوص إنجيلية حيث يقول المسيح لتلاميذه : « لا تظنوا أنى أتيت لأحل الناموس والأنبياء .. إنى لم آتى لأحل .. لكن لأتمم » (٥) وكان الناموس الموسوى يرتكز أساساً على التوحيد ، فجاء عيسى ليتمم ما جاء به موسى ، وليكمل ذلك الناموس الموسوى الداعي إلى التوحيد المطلق لله رب العالمين ..

وأخذ عيسى عليه السلام ينشر دعوته مبينا لبني إسرائيل أن الحياة الأبدية أن يعرف الناس الإله الحقيقي .. الواحد الأحد .. وهذا الإله هو الذى أرسله إليهم كما جاء ذلك في إنجيل يوحنا حيث قال المسيح : « إن الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك والذى أرسلته يسوع المسيح » (٦) .

وترسخت هذه الدعوة وتلك الحقيقة في حياة عيسى عليه السلام وبعد رفعه حدثت

(١ ، ٢) سورة المائدة ٧٢ .
(٣) سورة آل عمران من الآية ٥٢ .
(٤) سورة الصف من الآية ٦ .
(٥) إنجيل متى ٥ : ١٧ .
(٦) إنجيل يوحنا : ١٧ : ٣ .

أحداث وتغيرت أمور ونزل بالمسيحية وأصحابها ما نزل ، وحل بها ما حل من الإضطهادات والكوارث التي كان لها أثر كبير في الانحراف عن الدعوة الحق التي دعا إليها عيسى عليه السلام سيراً على نهج إخوانه المرسلين الذين سبقوه وهي التوحيد الكامل الذى جاء به سائر الأنبياء والرسل الذين اصطفاهم الله ، وأرسلهم لهداية الناس ومنهم المسيح ، قال تعالى : { شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً ، والذى أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه .. } (١) .

والقرآن الكريم وهو آخر كتاب نزل من عند الله مهيمناً على كل ما نزل من السماء ومنهجا باقيا خالدا تكفل الله بحفظه من التحريف والتغيير والتبديل ينص على أن عقيدة المسيح ودعوته قائمة على التوحيد الكامل ، التوحيد بكل شعبه : التوحيد فى العبادة : فلا يعبد إلا الله ، والتوحيد في التكوين : فخالق السماء والأرض وما بينهما هو الله وحده لا شريك له ، والتوحيد فى الذات والصفات : فليست ذاته مركبة ، وهى منزهة عن مشابهة الحوادث سبحانه وتعالى ، وهذا ما سجله القرآن وقاله الحق عز وجل حكاية عما يكون من عيسى عليه السلام يوم القيامة مجاوبة بينه وبين ربه : { وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله ؟ قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق .. إن كنت قلته فقد علمته .. تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب ، ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم } (٢) .

عقيدة صلب المسيح

١- بيان عقيدة الصلب :

اتفق النصارى على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم على عقيدة صلب المسيح - وكذلك عقيدة التثليث كما سيأتى بعد - .

واعتقد النصارى أن من لم يؤمن بصلب المسيح فقد كفر ، وسأضع بين يدى القارئ الكريم هذه العقيدة وقبل ذلك أورد السبب في الاعتقاد بها .. وأصول هذه العقيدة وجذورها قبل المسيحية .. ثم الواقع التاريخى لحادثة الصلب كما ورد فى

---

(١) سورة الشورى من الآية : ١٣ .

(٢) سورة المائدة الآيات : ١١٦ ، ١١٧ .

الأناجيل .
والواقع أن النصارى بنوا عقيدتهم في الصلب على ما جاء من نصوص إنجيلية لديهم حيث جاء في رسالة يوحنا الأولى : « الله محبة ، ومن يثبت في المحبة يثبت في الله ، والله فيه » رسالة يوحنا الأولى (٤ : ١٦) .
فقد زعم النصارى أن محبة الله ظهرت في تدبيره طريق الخلاص للعالم : لأن من عهد سقوط آدم في الخطيئة وهبوطه هو وبنيه إلى الدنيا بسبب تلك الخطيئة ، ولكن الله من فرط محبته وفيض نعمته رأى أن يقربه إليه بعد هذا الابتعاد ، فأرسل بهذه الغاية ابنه الوحيد إلى العالم ليخلص العالم .
ولما كان قد قضي الله - في زعم النصارى - إلى أن القصاص من بني آدم المخطئين بالوراثة أرسل ابنه رحمة منه في صورة جسد من أجساد المخطئين ليقوم بتقديم هذا الجسد للقصاص والعقاب فداء وكفارة عن سائر البشر .
يقول النص : فالله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطيئة ، ولأهل الخطيئة وإن الخطيئة في الجسد لكي يتم حكم الناموس فينا نحن السالكين »[٢]
فبسبب الخطيئة التي اكتسبها الجسد الآدمي كانت الخطيئة دينا يستوجب القصاص بالعقاب من فاعلها ، فلأجل ذلك تجسد اللاهوت أي حل في جسد بشري من أجساد الناس [٣] ، ولما كان كذلك سمي ناسوتا نسبة إلى الناس ، كما سمي الجزء اللاهوتي « باللاهوت » نسبة إلى الإله ، فإن الإبن نزل من عند أبيه وحل في أحشاء مريم واتحد بالناسوت اتحادا كاملا ، وخرج من بطنها إنسانا كاملا ولاهوتا كاملا - ليعظ الناس ويدعوهم إلى التوبة من الخطيئة [٤] .
فالنصارى اعتمادا على هذه النصوص وغيرها يعتقدون اعتقادا جازما بأن المسيح مات صلبا لينوب عن آدم وبنيه - ذلك : أن الله خلق آدم وأسكنه جنة عدن وأوصاه قائلاً : من جميع شجر الجنة تأكل أكلا ، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها موتا تموت « لأن أجرة الخطيئة هي موت » [٥] .
ولكن بمقتضى رحمة الله كان العفو والصفح عن آدم - وفي تنفيذ مقتضى المطلبين

---

(١) سورة المائدة الآيات : ١١٦ ، ١١٧ .
(٢) رسالة بولس إلى أهل رومية (٨ - ٣) .
(٣) رسالة إلى أهل كورلوس (٢ : ١) .
(٤) رسالة إلى العبرانيين (١ : ٢) .
(٥) رومية (٦ : ٢٣) .

ولكن بمقتضى رحمة الله كان العفو والصفح عن آدم – وفى تنفيذ مقتضى المطلبين الموت والصفح تناقض وتضاد ، فإن عفا برحمته فقد بطلت وظيفة العدل الإلهى ، وإن أقام القصاص بالموت لعدله فقد بطلت وظيفة رحمته [١] .

ومن هنا نشأت مشكلة ، وبينما كان الله يدبر ما يحقق رحمته بآدم بدون تناقض ، كان آدم يتناسل فوجدت ذريته تحمل نفس الخطيئة كما يقول بولس من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم وبالخطيئة الموت ، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع » [٢] الرسالة إلى روميه (٥ : ١٢)

وهكذا استوجبت البشرية الموت كآدم فهم بذلك مبعدون عن رحمة الله وعدله ، ولكن الرحمة أوقفت حيث اهتدى الله – فى زعمهم – إلى طريقة للحل ، وهى : أن يتقدم فاد عن البشرية ، ولما كان البشر جميعا مخطئين ، ولا طاهر إلا الله ، فلا يصلح للفدية إلا هو ، والله ليس جسدا ، وهنا نشأت مشكلة أخرى هى تجسد الذات الأقدس لذلك أنزل الله ابنه ، واتخذ الإبن لنفسه جسد إنسان فى بطن مريم وتنفيذا لذلك قام الإبن بتسليم نفسه للصلب مختارا كفارة لخطايانا وبذلك تم فداؤنا وتحقق خلاصنا ، وتوافق العدل والرحمة .. وفى ذلك يقول بولس : [ولكن الله بين محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاه مات المسيح لأجلنا] رسالة لأهل رومية (٥ : ٨) .

هذه هى عقيدة النصارى فى صلب المسيح – عليه السلام – وقد وردت قصة الصلب فى الأناجيل على النحو التالى :

١– فى إنجيل متى : وردت قصة الصلب فى الإصحاحين السادس والعشرين والسابع والعشرين .

٢– وفى إنجيل مرقص : وردت قصة الصلب فى الإصحاحين الرابع عشر والخامس عشر .

٣– وفى إنجيل لوقا : وردت قصة الصلب فى الإصحاحين الثانى والعشرين والثالث والعشرين .

٤– وفى إنجيل يوحنا : وردت قصة الصلب فى الإصحاحين الثامن عشر والتاسع عشر .

وهذه العقيدة تحتاج إلى البحث عن الحقيقة .. والحقيقة أنهم ما قتلوه وما صلبوه ..

---

(١) انجيل برنابا بين الإسلام والنصرانية صـ ١٤٢ د. محمد كريت رسالة مخطوطة كلية أصول الدين .

(٢) المرجع السابق صـ ١٤٣ .

{ بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما } (١) .
ونسوق الأدلة على أن هذه العقيدة غير صحيحة وهى من زعمهم ..

الأدلة على أن المسيح ما قتل وما صلب :

إننا ننزه المسيح عن تلك الإهانات التى صورتها أناجيل القوم لتلك الفرية فى كيفية القبض عليه وما جرى له .. وعندما نفعل ذلك فإنه من واقع إيماننا بأن عيسى – عليه السلام – واحد من المصطفين الأخيار الذين اختارهم الله لتبليغ رسالة من رسالاته إلى البشر فكيف تليق به تلك الإهانات وقد جعله الله مباركا أينما كان كما أخبر المسيح نفسه عن ذلك فى القرآن الكريم : { وجعلنى مباركا أينما كنت } (٢).
وكيف يتحدثون عن المسيح بذلك ثم يعتقدون أنه صلب وفى الوقت نفسه يتخذونه إلها بل ويرفعون تلك الخشبة التى صلب عليها الإله : إلى مكان التقديس حتى قالوا : « الصليب هو قلب المسيحية النابض ، بل الصليب هو المسيحية ، والمسيحية هى الصليب ، والصلب هو إعلان محبة الله التى لا حد لها للبشر » (٣) . وإليك أيها القارئ الكريم الأدلة التى تثبت أن المسيح ما قتل وما صلب .. وأول شهادة ودليل على ذلك هو الواقع التاريخى لبداية تقديس الصلب .

أ- الواقع التاريخى لتقديس الصليب :

فإن الصليب لم يكن معروفا ولا مقدسا فى زمن المسيح ، وكذا لدى الحواريين ولا النصارى حتى عام ٣٢٥م إلى هذا التاريخ القرن الرابع الميلادى إلى أن جاء قسطنطين وجمع النصارى فى مجمع نيقية الأول سنة ٣٢٥ م .
وفى هذا المجمع تقرر ألوهية المسيح عليه السلام بأمر قسطنطين الحاكم الرومانى الوثنى(٤) ، وأخذ يجمع لهم المخلفات الأثرية وأمرهم بتقديسها وتعظيمها .
يقول م . هـ برودينت : « بدأ احترام المخلفات الأثرية منذ عصر مبكر فى تاريخ الكنيسة فقد أتت هيلانة أم قسطنطين الكبير عند عودتها من أورشليم بقطعة من الخشب ، وزعموا أنها قطعة من الصليب ، وكذلك بضعة مسامير اعتقدت أنها مما استعمل فى صلب المسيح ، وهكذا بدأ أن يكون للصور والتماثيل والأيقونات قيمة ،

---

(١) سورة النساء / ١٨٥ .
(٢) سورة مريم من الآية / ٣١ .
(٣) صلب المسيح وآراء الفلاسفة الفلسطينيين صـ ١١٨ عوض سمعان / ط الفنية الحديثة سنة ١٩٧١ م .
(٤) عصر المجامع صـ ٢٠ .

وصارت الكنائس تبنى لحفظ هذه المخلفات ، وأخذت الكنائس تملأ بالتماثيل والصور التى أصبحت موضوعاً للعبادة .. وعادت الأصنام الوثنية إلى الظهور ، وتحولت الصلاة من الله إلى العذراء والقديسين » (١) .

ويقول ول ديورانت : « كانت الكنيسة أول أمرها تكره الصور والتماثيل وتعدها بقايا من الوثنية وتنظر بعين المقت إلى فن النحت الوثنى الذى يهدف إلى تمثيل الآلهة .. ولكن بانتصار المسيحية فى عهد قسطنطين لم يعظم الناس الصور التى يزعمون أنها تمثل المسيح فحسب بل عظموا معها خشبة الصليب ، حتى لقد أصبح الصليب فى نظر ذوى العقول الساذجة طلسما ذا قوة سحرية عجيبة ، وأطلق الشعب العنان لفطرته ، فحول الآثار والصور والتماثيل إلى معبودات يسجد الناس لها ، ويقبلونها ويوقدون الشموع ويحرقون البخور أمامها » (٢) .

ومن هذا التاريخ - القرن الرابع الميلادى - كما ذكر علماء الكنيسة قدس المسيحيون الصلب ، وأصبح الصليب هو المسيحية ، والمسيحية هى الصليب ، ولا عجب إذا وجدنا النصارى الآن يعتزون بالصليب ويفخرون به ولسان حالهم يقول : « حاش لى أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع الذى صلب به »(٣) ولا عجب أيضا إذا وجدناهم يناجون الصليب فى صلواتهم قائلين : « السلام عليك أيها الصليب خلص هذا الجمهور المجتمع لتقديسك ، أيها الصليب الذى أتى بالخلاص للأشقياء » ، وإن تعجب فعجب لهؤلاء الذين لا يفرقون بين الأب والإبن والروح القدس ، والصليب ومريم بل والقديسين حيث ينادون فى الصلاة « الثالوث الأقدس » (٤) .

والصليب ناسوت ربنا يسوع المسيح والعذراء المباركة الدائمة البتولية ولجميع القديسين ، ليكن الحمد الدائم والكرامة والثناء ، ولا عجب أيضا إذا رأينا النصارى يرسمون علامة الصليب على جباههم وصدورهم ، بل ويعلقون الصليب شارة على صدورهم (٥) .

وما درى النصارى أنهم بتقديس الصليب وعبادتهم له أصبحوا يخالفون الناموس ويناقضون تعاليم عيسى فقد قال لهم عيسى : « ملعون الرجل الذى يصنع منقوشا

(١) الكنيسة المتقرية صـ ٥٥ .

(٢) قصة الحضارة جـ ٤ جـ ٤ عصر الإيمان صـ ١٥٤ ترجمة محمد بدران .

(٣) رسالة بولس لأهل غلاطية ف (٦ : ١٤) ، النصرانية دراسة مقارنة صـ ١٧٩ د . محمد رجب .

(٤) هذه الكلمة لم يكن لها أصل فى النصرانية ولكنها وضعت فى عقيدة المجمع النيقاوى سنة ٣٢٥ م .

(٥) الكنيسة المسيحية فى عصر الرسل صـ ٢٥٥ - الأنبا يؤانس - أسقف الغربية سنة ١٩٧٧ .

أو مسبوكا رجسا لدى الرب صنعه » [١] .
وأوصاهم قائلا : « لا تصنع لك منحوتا و ولا صورة شئ مما فى السماء من فوق ولا مما في الأرض من أسفل ، ولا تسجد لهن ، ولا تعبدهن » [٢] .
وبشهادة القوم على أنفسهم نرى وجه الصواب والحق فى هذه العقيدة الشاذة وهـى : أنها لم توجد فى الكنائس مدة الثلاثة أجيال الأولى قبل مجمع نيقية سنة ٣٢٥م ، ولم يأمرهم المسيح بها ، ولم تعرف عبادة الصليب كما يقول ديورانت ، ويروديئت ، وادوارد جيبون ، وغيرهم : إلا بعد المجتمع المذكور . فكانت الصور والتماثيل والصليب فى الكنائس والأديرة والحوانيت وحتى أثاث المنازل والحلى والملابس لم تخل منها ، حتى قال جيبون : تسربت إلى الكنيسة الكاثوليكية شعائر الوثنية المتمثلة في الركوع ، وإيقاد الشموع ، وحرق البخور للقديسين والصليب ، ورسخ استخدام التماثيل والصور وعبادتها قبل القرن السادس الميلادى .
وبهذه الشهادة التاريخية يتبين أن عقيدة الصليب تولدت عند النصارى بعد زمن المسيح بثلاثة أجيال ، ومن ثم أنكرها كثير من الفرق النصرانية القديمة شأنها شأن عقيدة التثليث . وإلحاقاً لما سبق نورد مقتطفات مما ورد في تفنيد هذه الفرية الضالة والأفكار المتهافتة ، وهذه الفلسفة الساذجة التى تحمل بين طياتها أدلة فسادها وبطلانها لأنهم بذلك يخالفون العقل والمنطق ويزيفون على الضمير الإنسانى أهم شئ فى حياة الإنسان وهو العقيدة .

رأى بعض الفلاسفة فى عقيدة الصليب :

وجدت فرق كثيرة من فرق النصارى ترفض وقوع الصلب للمسيح رفضا كليا ، لأن البعض منهم كان يعده إهانة لشرف المسيح ، والبعض الآخر كان يرفضه استنادا للأدلة التاريخية التى ألمحت إليها سابقا ..
هذه الفرق التى أنكرت حادثة الصلب : المرقيونيون ، المانيون ، والبوليسيون .. والدوسيتية .. وعلى رأسهم فرقة الفنوسطيون .. ولذيوع رأيهم حتى الآن كتب كثير من النصارى عنهم وعلى رأس هؤلاء القس « عوض سمعان » الذى كتب كتابا بعنوان : (صلب المسيح وآراء الفلاسفة الفنوسطيون) عرف فيه هذه الطائفة قائلاً : « الفنوسطيون : أو أهل المعرفة فرقة ظهرت فى المدة الواقعة بين القرنين الثانى والرابع للميلاد : وهم أول من اعتقدوا بعدم صلب المسيح ، وانتقل اعتقادهم

---

(١) سفر التثنية (ف ٢٧) .
(٢) سفر الخروج (ف ٢٠ ع ٤ ، ٢٥) .

هذا إلى بعض الذين رفضوا الوثنية واعتنقوا المسيحية فى القرون الأولى .. وأول من عرف من الفنوسطيين شيئا من المسيحية شخصا يدعى « ميمون » من بلاد السامرة .

وذهب هؤلاء إلى أن المسيح لم يصلب ، وأن الذى صلب هو شخص غيره خيل لليهود أنه المسيح ... ثم يقول المؤلف : ومن ثم أطلق المؤرخون على الفنوسطيين اسم « المشبهة » ولا تزال إلى وقتنا الحاضر جماعة فى أمريكا تؤمن لآراء الفنوسطيين هى « محفل الأخوة العظيم الأبيض » (١) .

ثم عرض القس « عوض سمعان » آراء بعض من زعماء تلك الفرقة فقال : « إن مرقيون الذى كان فى القرن الثانى كانت عقيدته أن الذى صلب ليس المسيح بل شخص غيره ظن اليهود أنه المسيح ، أما المسيح نفسه فقد رفعه الله إلى السماء سالماً » .

وقال نطانيوس : « فى أواخر القرن الثانى ، لما أخذ المسيح يوبخ اليهود على شرورهم وآثامهم ، مدوا أيديهم إليه لكى يقتلوه فوقعت على شخص آخر ظنوا أنه المسيح ، أما المسيح نفسه فقد صعد إلى السماء سراً كما نزل سراً منها » .

وقال مانى فى القرن الثالث : « مد اليهود أيديهم – إلى المسيح – لكى يصلبوه فوقعت على شخص كان قد أساء إليه من قبل ظنوا أنه المسيح فأخذوه وصلبوه ، أما المسيح نفسه فقد رفعه الله إليه دون أن يصيبه سوء » هذا بعض ما نقله القس « عوض سمعان » عن طوائف النصارى فى القرون الأولى .. وكلها تنكر حادثة الصلب ، ونزه المسيح عليه السلام مما ألحقه النصارى به .. وهذه شهادة توافق ما جاء فى إنجيل برنابا ، هذا الإنجيل الذى كتبه أحد حوارى المسيح كما يعتقد النصارى فى برنابا .

أضف إلى ما سبق شهادة برنابا فى إنجيله أن المسيح ما قتل وما صلب ولكنه رفع .

وبرنابا هذا كان أحد الحواريين والمعروف عند النصارى « بابن الواعظ » بعد أن كان اسمه يوسف ، وهو الذى كان يعظ الناس بل ويقدم الوعاظ للناس وهو الذى قدم بولس للناس كما جاء فى نصوص الأناجيل (٢) .

(١) صلب المسيح وآراء الفلاسفة الفنوسطيين صـ ٣-١١ بايجاز القس عوض سمعان ، المطبعة الفنية الحديثة سنة ١٩٧١ م .

(٢) يراجع فى هذا أعمال الرسل ف(٤ ، ١ ، ٤٣) ، وقاموس الكتاب المقدس صـ ١٧٨ فى ترجمة برنابا ، مجموعة من أساتذة اللاهوت – مجمع الكنائس ، طبعة ثانية سنة ١٩٧١م .

جاء في إنجيل برنابا [ولما دنت الجند مع يهوذا من المحل الذي كان فيه يسوع
جاء في إنجيل برنابا [ولما دنت الجند مع يهوذا من المحل الذي كان فيه يسوع
ورأى الله الخطر على عبده ، أمر جبريل وميخائيل وروفائيل وعزرائيل سفراءه أن يأخذوا يسوع من العالم فجاء الملائكة الأطهار وأخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنوب » [1] .

وفيه أيضاً : « ودخل يهوذا بعنف إلى الغرفة التي أصعد منها يسوع وكان التلاميذ كلهم نياما ، فأتى الله العجيب بأمر عجيب ، فتغير يهوذا [2] في النطق وفي الوجه فصار شبيها بيسوع حتى أننا اعتقدنا أنه يسوع .. إلى غير ذلك من الشواهد الكثيرة التي ذكرت في هذا الإنجيل والتي تدل دلالة قاطعة على أن الذي صلب ليس هو المسيح ولكنه شخص آخر عرفه الإنجيل بأنه يهوذا أما المسيح فقد رفعه الله إليه وهذا ما شهد به القرآن الكريم .

* * *

وجاء القرآن الكريم ينفي الصلب عن عيسى عليه السلام ويبين أنه رفع :

القرآن الكريم وهو الكتاب الخاتم والمهيمن على ما تقدمه من كتب نزلت من عند الله عز وجل قد بين الحقائق كاملة في أمر عيسى عليه السلام .. فعيسى عليه السلام قد جعله الله آية ، كما قال سبحانه { ولنجعله آية للناس } [2] .

ومن لوازم الآية أنها تكون على خلاف ما يعهده البشر .. فاقتضت إرادة الله أن ينطق عيسى وهو في المهد صبيا ويتحدث عن يوم ميلاده ويوم موته .. ويوم بعثه ثلاثة أيام يصورها بالألف واللام في كلمة السلام عن هذه الأيام الثلاثة فقال تعالى على لسان عيسى : { والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا } [3] فقد برأ الله نبيه عيسى عليه السلام مما سيتحدث عنه البشر فقد قالوا لأمه ساعة ولادته : { يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً } [4] فبرأها

---

(١) انجيل برنابا [٢١٥ : ١ - ٥] .
(٢) سورة مريم من الآية / ٢١ .
(٣) سورة مريم الآية / ٣٣ .
(٤) سورة مريم الآية / ٢٨ .

الله من البغاء والزنا والسفاح مبينا أن عيسى عليه السلام إنما جاء كذلك لأمر أراده الله عز وجل وأمره دائما [إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون][1] ثم إن القوم جعلوها ، أي مريم ، بعد ذلك إلها وأنها ولدت عيسى الإله من أجل ذلك تحدث عيسى عن يوم الولادة ليتقى تلك الشبهة ويزيل هذه الأباطيل ، كما

تحدث عن يوم موته .. ليرد على حادثة الصلب مبينا أنه ساعة موته لم ولن تمتد إليه يد بسوء .. وكيف يمتد إليه السوء وهو رسول من عند الله جعله آية : في : خلقه ، وحمله ، وولادته ، وبعثه ، ومعجزاته ، ورفعه إلى السماء ..

شأن عيسى كله كان على نحو لم يعرفه البشر من قبل .

فقد كان خلق عيسى عن طريق النفخ لأن القوم كانوا ينكرون وجود الروح ، ومن ثم ناسب أن يكون عيسى نفسه عن طريق نفخ الروح .

وجاءت معجزاته كذلك على هذا النحو لأن القوم الذين أرسل إليهم عيسى كما أنكروا وجود الروح .. أنكروا ما يترتب عليها وهو البعث وما فيه من حساب وجنة ونار .. ومن أجل ذلك كان كلام عيسى وهو فى المهد عن يوم بعثه أيضا ليبين أن الله هو الذى خلقه وهو الذى سيميته ثم يبعثه دون أن تمتد إليه يد بسوء فى هذه الأيام الثلاثة ، وهذا ما أثبته القرآن الكريم مفصلاً قال تعالى : [وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما .. وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله .. وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه بهم .. وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم إلا اتبـــاع الظن وما قتلوه يقينا .. بل رفعه الله إليـــه وكان الله عزيزاً حكيماً] [2] .

ومن هنا ذهب جمهور المسلمين من الصحابة والتابعين وعلماء الأمة إلى القول برفع المسيح عليه السلام حيا وأنه ما صلب ولكن الله أنجاه من كيد اليهود يدل على ذلك قوله تعالى : [ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ، إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا] [3] .

وقد جاء فى إنجيل لوقا قول الملاك لمريم : (ها أنت ستحبلين وتلدين إبنا وتسمينه يسوع هذا يكون عظيما) [4] .

---

(١) سورة مريم من الآية / ٣٥ .

(٢) سورة النساء / ١٦٥ ، ١٧٥ .

(٣) سورة آل عمران / ٥٣ ، ٥٤ .

(٤) انجيل لوقا (١ : ٣١ ، ٣٢) .

وهذا نقيض ما ذكرته أناجيلهم المعتمدة لديهم فى وصف ما حدث للشخص المصلوب من تتويجه بإكليل من الشوك ، وجذبه ، وضربه ، ولطمه ، والبصق على وجهه ... الخ

إن هذا لا يليق بعامة الناس .. فكيف بالمسيح الذى هو نبى ورسول عندنا نحن المسلمين ، وكيف يليق أن يفعل به ذلك ثم يصلب وهو إله عند النصارى ، إن شخصا له مثل هذه المكانة وتلك العظمة لابد أن يحميه الله من هذه الإهانات وأن يحفظه ويعصمه من البشر فلا تمتد إليه يد بسوء ولا صلب : فيكون وجيها عند الله وعند الناس .. وهذا ما أخبر به الحق تبارك وتعالى مريم أم المسيح إذ نادتها الملائكة [يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين .. ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين](١)

وبعد ما تقدم أقرر أننى تناولت قضية الصلب المزعومة بأنها لفداء بنى البشر لأنها من أهم العقائد النصرانية .

وهذه القضية لم تكتسب أهميتها من أنها جريمة قتل وقعت على نبى من أنبياء الله .. فإن كثيرين من الأنبياء قد رحلوا عن هذا العالم نتيجة لهذه الجريمة . ولو أن المسيح صلب حقيقة لما كان ذلك شيئا فوق الإمكان ، لأن كثير من الأنبياء قد قتلوا بيد اليهود من أمثال : يحيى ، وزكريا ، وحزقيال وغيرهم .

ولكن هذه القضية اكتسبت أهميتها من حيث أنها جعلت أساساً يقوم عليها دين .. وتبنى عليه عقيدة .. حيث أن عقيدة النصارى فى صلب المسيح كانت أساسا وبداية لجعله إلها ، وأساسا للتثليث ، وأساسا لاتخاذ الصليب رمزا مقدسا للنصرانية كلها كدين ، ويكفى أن نعرف أن الصليب الذى يعتقدون أن المسيح قتل عليه أصبح رمزا مقدسا عندهم ، وهو رمز التثليث ، وهو كذلك رمز للمذبح الذى ذبح عليه المعصوم ، وهو كذلك رمز لأكبر فاجعة وقعت فى تاريخ البشرية ، وهو كذلك أساس الكنيسة وعماد الإنجيل ورمز الحياة الأبدية (٢) .

لذلك تناولتها أولا بالعرض والتفنيد قدر استطاعتى فى هذه العجالة لما عند القوم وبيان ما جاء به القرآن دستور الإسلام الخالد فى تلك القضية وموقفه الرافض لها .. ويلحق بهذه القضية ما بنى عليها من التثليث ليقف القارئ الكريم على أسبابها ، وما قيل فيها – لها أو عليها – ونترك له الحكم ؟؟

---

(١) سورة آل عمران / ٤٥ ، ٤٦ .

(٢) الإنجيل والصليب صـ ٦ القس عبدالأحد داود . ترجمة مسلم العراقى سنة ١٣٥١هـ .

على كل ما ورد بهذا المقال الموجز سابقا ولاحقا ؟؟

عقيدة التثليث

تمهيد

إن عقيدة التثليث قديمة الجذور حيث ترجع جذورها إلى أقدم العصور التاريخية عندما كان التثليث عقيدة المصريين القدماء .. والاشوريين .. والبابليين .. والفرس .. والهنود وغير هؤلاء من أصحاب الديانات القديمة ممن كانوا قبل اليهود والنصارى .

فالبراهمة في الهند كانوا يعتقدون بآلهة متعددة وفى القرن الثامن (ق . م) فكر رجال الدين فى توحيد الالهة فجمعوا آلهتهم فى إله واحد له ثلاثة أقانيم وأطلقوا عليه ثلاثة أسماء : « **براهما** » إله الخلق ، « **وفشنوا** » إله الحفظ ، « **وسيفا** » إله الموت . إنهم ثلاثة أقانيم ولكنهم في الوقت نفسه واحد ، سموا هذا « الثالوث الأقدس » [١] . وقد وجد فى بعض الآثار الهندية صنم له رءوس ثلاثة إشارة إلى هذا الثالوث ، ومعروف أيضا أن دين البوذية فى الهند هو التثليث الذى يسمونه الثالوث المقدس وله تمثال بالهند مرموز له برأس إنسان بثلاثة أوجه .

وأما الاشوريين فمعروف أن عاصمة مملكتهم « ثبتوا » بها معبد للتثليث وهم قبل المسيح بقرون طويلة يعتقدون بثلاثة أقانيم .

أما فى الصين واليابان فيعبدون إلها مثلثا يسمونه « فو » ويقولون هو واحد له ثلاثة أشكال [٢] .

وأما أهل بابل فكانوا في الألف الرابع قبل الميلاد يدينون بتعدد الآلهة ولكنهم نظموا هذه الآلهة أثلاثا وجعلوها مجموعات كل مجموعة ثلاثة فكانت المجموعة الأولى على رأس الالهة وتتكون من العلماء وإله السماء ، وإله الأرض ، وإله البحر .

وأما المجموعة الثانية فكانت تتكون من : إله القمر وإله الشمس ، وإله العدالة والتشريع [٣] .

وكان الفرس يعبدون إلها مثلث الأقانيم .. مثل الهنود تماما .

وكان اليونان يقولون : إن الإله مثلث الأقانيم .. وكانوا يقدمون الذبائح للآلهة ،

(١) الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة صـ٦٢ / عبدالقادر شيبة الحمد سنة ١٣٨٧هـ ، وأديان الهند الكبرى صـ٤٨ د . أحمد شلبى .

(٢) وسائل إظهار الحق صـ ٨١ .

(٣) المسيحية صـ ١٣١ د . أحمد شلبى .

ويرشون المذبح بالماء المقدس ثلاث مرات إشارة إلى الثالوث ، ويأخذون البخور من المبخرة بثلاثة أصابع ويعتقدون بأن الحكماء صرحوا بأن كل الأشياء المقدسة يجب أن تكون مثلثة ، ولهم اعتناء تام بهذا العدد فى كافة أحوالهم (١) .

وأما المصريون : فيتحدث « زكى شنودة » عن عقيدتهم التى كانوا يؤمنون بها حين دخلت النصرانية مصر ، فيقول : « كان من معتقدات المصريين ما يسمى بثالوث طيبة ويتألف من : آمون « الأب » ، وموت « الأم » ، وخنسو « الابن » كذلك ثالوث « أبيدوس » ويتألف من : أوزوريس « الأب » ، وايزيس «الأم » ، وحوريس «الابن» .

وكانوا يعتقدون أنهم وإن كانوا ثلاثة إلا أنهم يعملون معا ، وكان كهان ممفيس يعلمون التلاميذ هذه العقيدة « الأول خلق الثاني ، والثانى خلق الثالث ، والثلاثة خلقوا العالم » ، كما كانوا يعتقدون بالإله الأب ، والإله الإبن : فكان « حورمحب » آخر ملوك الأسرة الثانية عشرة هو ابن الإله آمون من عذراء ، وإن أبيس كان يتجسد فى مولود عجلة بكر بعد حلول روح تباح فيها (٢) .

وقد اتجهت مدرسة الإسكندرية فى تعليم تلك العقيدة حتى أصبحت بحق - خاصة بعد الفتح الإغريقى - مركزا للحياة الدينية ليس فى مصر فقط بل للعالم الهلينى كله ، وقد أقام بطليموس الأول معبدا عظيما هو « معبد السرابيوم » لعبادة الثالوث المكون من « أوزوريس ، وإيزيس ، وحورس » ولم يكن الناس يعدونها أربابا منفصلة بل هيئات ثلاثة لإله واحد (٣) .

من هذا العرض نستطيع أن نقرر أن عقيدة التثليث قد وجدت قبل المسيح عليه السلام بأزمان عديدة ، بل إن أمر التثليث دار مع الإنسان حتى انطبع فى خياله كما ينطبع الخاتم فى الشمع .

وبعد ذلك نبين عقيدة التثليث عند النصارى .

* * *

---

(١) عقائدنا صـ ٨٧ وما بعدها بحوث مقارنة د/ محمد الصادق طـ ١ سنة ١٩٧٢ م .

(٢) موسوعة تاريخ الأقباط جـ صـ ٣١ زكى شنودة مطابع البلاغ القاهرة طـ ٢ سنة ١٩٦٨ م .

(٣) المسيحية صـ ١٣٢ د . أحمد شلبى .

عقيدة التثليث عند النصارى

قررت فيما سبق أن القول بالتثليث لم يكن وليد عهد بالنصرانية ولكنه وجد قبل المسيح عليه السلام .. وقد بعث الله المسيح رسولا إلى بنى اسرائيل بعد موسى عليه السلام .. وهؤلاء - بنو اسرائيل - كانوا كثيرى العصيان والتمرد على الأنبياء والرسل .. وقد أتعبوا رسول الله موسى وجحدوا نعم الله عليهم ونَسُوا فضله ، وشاهدنا على ذلك لما نجاهم الله من فرعون على يد موسى عليه السلام كان من الواجب أن يتبعوا أمر موسى .. ولكنهم بمجرد أن عبروا البحر إلى صحراء سيناء .. ووجدوا قوما يعكفون على أصنام لهم : { قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة } (١) ... قال لهم موسى : { إنكم قوم تجهلون .. إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون } (٢) .

ولما تركهم موسى وذهب لميقات ربه خرجوا عن طاعة نبى الله - هارون - { واتخذوا عجلا جسدا له خوار } وجعلوه إلها يعبد من دون الله مما أغضب موسى أشد الغضب عليهم قائلا لهم : { أعجلتم أمر ربكم } (٣) يا قوم : { ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا .. أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدى .. ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى .. قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى } (٤) هكذا كان بنوا إسرائيل مع أنبيائهم ورسلهم { كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون } (٥) .

فلما جاءهم عيسى بالبينات ما آمن به إلا قليل .. ورأوا من معجزات عيسى أنه يبرئ الأكمه والأبرص ويحيى الموتى بإذن الله .. فاعتقدوا أن المسيح أكثر من إنسان لذلك اعترى عيسى عليه السلام الشك فى إيمان قومه فسألهم كما سجل القرآن الكريم ذلك : { فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى إلى الله .. قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون } (٦) .

(١ ، ٢) سورة الأعراف / ١٣٨ ، ١٣٩ .

(٣) سورة الأعراف / ١٥٠ .

(٤) سورة طه / ٨٦ ، ٩٠ ، ٩١ .

(٥) سورة المائدة / ٧٩ .

(٦) سورة آل عمران / ٥٢

وهذا ما جاء في أناجيل القوم : حيث قال المسيح لتلاميذه يوماً : « وأنتم من تقولون أني أنا فأجاب بطرس وقال له : أنت المسيح ، فانتهرهم كي لا يقولوا لأحد عنه » (١) .

وهكذا نرى أنه قد ظهرت البذور الأولى للتأليه في حياة المسيح لكنه كبتها ولم يمدها بمقومات الحياة .. فأخذت في الانـزواء تتحين الفرصة وتبحث عن متعهـد لها .. حتى وجدت ذلك بعد رفع المسيح عليه السلام .

حيث كان الإضطهاد والكوارث التي أدت إلى ضياع دين المسيح عليه السلام وذلك بقتل الكثير ممن آمن بعيسى .. وأخذ الحواريون يفرون من بلد إلى بلد فرارا من القتل وتخفيا فضاعت معالم دين المسيح عليه السلام ، وذلك بافتقاد إنجيله الأصلي وضياع كثير من تشريعاته وتعاليمه واختفت العقيدة الصحيحة وسط هذه الظروف ودخل كثير من الوثنيين في النصرانية ،على رأسهم « بولس » الذى كان أنشط اليهود المتنصرين وأكثرهم عدواة للنصـرانية فأخذ يغذي فكرة القول بألوهيـة المسيح .

وهذه أولى مراحل التحويل من دعوة التوحيد في النصرانية إلى التثنية على يد « شاءول » المدعو بعد ذلك « بولس » أو « بولس الرسول » .

وهذا الرجل في الواقع يعتبر مؤسس النصرانية الحالية وواضعها وإليه تعزى في أكبر شرائعها وأصغرها على سواء .

ويوجد سفر كبير من الأسفار المقدسة عند النصارى يسمى « سفر أعمال الرسل» هذا السفر يكاد يكون وقفا على بولس وحده يصف أعماله ، وحياته ، وسيرته ، وخطبه ، ورسائله .. وإذا كان التلاميذ قد كتبوا عن حياة المسيح الأناجيل الأربعة ، فإن « لوقا » أحد تلاميذ بولس قد كتب عنه أيضا هذا السفر ، وهو أشبه بالأناجيل التي كتبت عن حيـاة المسيح ، « ولوقـا » هذا هو نفسـه صاحب الإنجيل المعروف باسمه .

ومن هذا السـفر نعرف أن بولس هذا كان اسـمه أولا « شاءول » وكان من ألد أعداء أتباع المسيـح .. في أثناء سفره إلى دمشق بدا له أن يكيد لهذا الدين الجديد ، ويحطم هذه الدعوة الوليدة ، وبدا له أن طريق النفاق والخداع أجدى له من العداء السافر .. وبدا له أيضا أن يرفع المسيـح من مكانه ليضع هو نفسه فيه .. وتاريخ الأديان ملئ بمثل هذا « البولس » وما هو إلا صورة سابقة لما جاء

(١) انجيل مرقص الإصحاح الثامن / ٢٩ ، ٣٠ .

في الإسلام من « مسيلمة الكذاب » وأمثاله .
وعاد « شاء ول » من رحلته إلى دمشق وبدأ بتمثيلية محكمة ليصل من خلالها إلى ما يريد . خلاصتها : أنه وهو في طريقه لإيذاء أتباع المسيح وإصطيادهم على طريق دمشق أبرق نور من السماء فسقط على الأرض .. ثم سمع صوتا يقول له : « شاء ول ، شاء ول ، لماذا تضطهدني ؟ فقال : من أنت يا سيد ؟ فقال الرب : أنا يسوع الذي تضطهده .. فقال وهو يرتعد ومتحير : يارب ماذا تريد أن أفعل ؟ فقال له الرب : قم وادخل المدينة ، فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل والوقت جعل يكرز في المجامع بالمسيح : أن هذا هو ابن الله »[1]
وابتدأ شاء ول خطته بتغيير اسمه إلى « بولس » حتي يمهد لدينه الجديد بمحو ما علق بأذهان المسيحيين من ذكريات قديمة لاسمه القديم ، ثم أخذ يدعو إلى دينه الجديد فيضع العقائد . وأولها : أن المسيح هو ابن الله ، وأن الله ثلاثة ، ويدعى أنه المسيحية بالإلهام والوحى وليس من إنسان آخر ، فيبدأ رسالته إلى أهل غلاطية بقوله : « بولس رسول لا من الناس ولا بإنسان ، بل يسوع المسيح »[2] .
ثم يقول في بعد ذلك مخاطبا الناس في نفس الرسالة :
(وأعرفكم أيها الأخوة ، الإنجيل الذي بشرت به أنه ليس بحسب إنسان لأني لم أقبله من عند إنسان ، ولا تعلمته ، بل بإعلان يسوع المسيح)[3] .
هكذا يدعي بولس أنه تلقى تعاليمه من الله مباشرة ومن المسيح نفسه دون تعليم من أحد ولذلك يضع قواعد دينه وعقائده ومن أهمها :
١- تأليه المسيح والروح القدس والقول بالتثليث .
٢- صلب المسيح تكفيرا عن خطيئة آدم ، وفداء للبشر .
٣- قيامة عيسى من الأموات ، وصعوده إلى السماء وجلوسه عن يمين الله .
٤- أن عيسى هو الذي يحاسب البشر يوم القيامة وليس الله .
٥- أن المسيحية دين للناس جميعا وليس قصرا على بني اسرائيل فقط .
وهذه العقائد هي الأسس التي تقوم عليها كنائس اليوم .
وبهذا اتفق النصارى على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم على عقيدة التثليث وجعلوا ذلك نصا صريحا في أمانتهم التي يطلقون عليها « دستور الإيمان » أو « الأمانة »

(١) يراجع أعمال الرسل الإصحاح التاسع ٣ - ٧ - ٢٢ .
(٢) رسالة بولس إلى أهل غلاطية الإصحاح الأول / ١ .
(٣) رسالة بولس إلى أهل غلاطية الإصحاح الأول / ١١ .

ويرتلونها في صلواتهم وفي كنائسهم ويحملونها على صدورهم ، وإلى بولس هذا ترجع شرائع الكنيسة وتقاليدها المتبعة حتى الآن ...

فهو الذي استبدل الأحد بالسبت ، وهو الذي أمر بعدم الختان ، وهو الذي سن للكنيسة تقاليدها من التراتيل والترانيم والأناشيد والأغاني الروحية والمزامير .

فهو يقول : « ولا تسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة ، بل امتازوا بالروح مكلمين بعضكم بعضا ، بمزامير وتسابيح وأغان روحية مترنمين ومرتلين »[1] .

ووصلت به الجرأة أنه يضع نفسه في مقام الرب المشرع ، فيضع النص في رسائله ينص في جزء منه على أنه تشريع من عند الرب ، وفي بعضه الآخر أنه من عنده هو ، وفي ثالث أن رأيه يقوم مقام تشريع الرب .

يقول في إحدى رسائله :

« أما المتزوجون فأوصيهم لا أنا بل الرب ألا تفارق المرأة رجلها ، وأما الباقون فأقول لهم أنا لا الرب .. وأما العذارى فليس عندي أمر من الرب فيهن ولكني أعطي رأيا »[2] .

أما المرحلة الثانية في التحول من التوحيد إلى التثليث :

والتي انتشرت فيها فرية بولس بقوة السيف وجبروت السلطان بعد أن وضع بذورها بولس ثم هلك واشتد الخلاف في مسائل كثيرة كان أهمها ما يتعلق بشخص المسيح ، هل هو رسول من الله فقط ؟ أو له صلة خاصة بالله تزيد على صفة السفارة بين الله وخلقه ؟ أو هو ابن الله لأنه ولد بغير أب ؟ وإذا كان ابن الله فما هي نسبته إلى أبيه ؟ هل هو مثله في القدم ؟ أم متأخر عنه في الزمان ؟

هذه الخلافات التي وضعها بولس خليط من أديان اليهودية ، المتراسية ، والإغريقية ...الخ وتعصب لها أصحاب الديانات التي أخذت عنها .. وظلت كامنة طوال فترة الإضطهادات التي أنزلها بالمسيحية حكام روما ، حتى جاء عهد « قسطنطين » فأمنهم على أنفسهم واعتزم الدخول في المسيحية ، وهنا ظهرت الخلافات على أشدها .

فأرسل قسطنطين يدعو جميع رجال الدين ، فجمع البطاركة والأساقفة ، كان أول مجمع مسكوني عام ٣٢٥م ، وقد حضر هذا المجمع ألفان وثمانية وأربعون وكانوا مختلفين في الآراء والأديان .. وعند اجتماعهم سمع قسطنطين مقالة كل فريق

(١) أفسس الإصحاح الخامس : ١٨ - ١٩ .

(٢) اكورنثوس الإصحاح السابع : ١٠، ١٢ ، ٢٥ ، انظر دراسات في النصرانية د . محمود مزروعة .

ومجادلتهم ثم مال أخيرا مع الرأى القائل بألوهية المسيح ، ولم يكن ميل قسطنطين إلى هذا الرأى لرجاحته أو لكثرة عدد متبعيه .. فالمجمع كما ذكر ابن البطريق كان ألفان وثمانية وأربعون رجلا من رجال الدين ، وبعد المناقشات التى دارت بين الموحدين وعلى رأسهم « أريوس » وبين المخالفين وعلى رأسهم بطريرك الإسكندرية « اثناسيوس » .. اجتمع على التثنية من هذا العدد كله[1] « ثمانية عشر وثلاثمائة » من كل المجتمعين ٢٠٤٨ .

ومن هنا يتضح أن حزب المخالفين كان أقل عددا وأضعف جندا .

ولكن الامبراطور أمر بإنهاء المناقشات وفض المجمع ، ثم جمع حوله الثلاثمائة والثمانية عشر رجلا وأعطاهم سيفه وخاتمه وقضيبه وقال لهم : قدسلطتكم على مملكتى لتصنعوا ما فيه نشر هذا الدين الذى قلتم به ، ثم عمل على اضطهاد كل من يعارض عقيدة – ألوهية المسيح [2] – هؤلاء الذين رضى عنهم .. وتوالت المجامع المسكونية بعد ذلك لتثبيت الفكرة والزيادة عليها فكان المجمع الثانى – مجمع القسطنطينة – سنة ٣٨١م الذى قرر ألوهية الروح القدس فتم التثليث . ثم كان المجمع الثالث – مجمع أفسس الأول – سنة ٤٣١م الذى قرر أن مريم العذراء والدة الله ، وليست والدة المسيح الإنسان .. وأن المسيح إله حق معروف بطبيعتين إلا أنه متحدد فى الأقنوم .. بمعنى أن فى المسيح طبيعة لاهوتية .. وأخرى ناسوتية .. ولكنهما متحدتان ، وبعد اتحادهما صارا طبيعة واحدة بدون اختلاط ولا امتزاج .

وعلى ذلك فالعذراء تدعى بأنها والدة الإله المسيح ، وليست والدة المسيح الإنسان . ثم كانت المجامع المسكونية الأخرى التى غالت فى المسيح عليه السلام إذ اختلف النصارى اختلافا شديدا فى أمره ..

هل للمسيح طبيعة واحدة أم طبيعتان ؟ وهل له مشيئة واحدة أم مشيئتان ؟ وهل له إرادة واحدة أم إرادتان ؟ وهل كل تلك الصفات متحدة أم منفصلة ؟ ثم من أين انبثق الروح القدس ؟ هل من الأب فقط ؟ أم من الأب والابن معا ؟ ... الخ .

والخلاصة : أن عقيدة التثليث لم تولد فى يوم وليلة .. بل إنها تولدت على دفعات على النحو التالى :

(١) المقارنات العلمية والكتابية صـ ٣٤ ، وأضواء على المسيحية صـ ٩٨ ، وعشرون قرنا فى موكب التاريخ صـ ٦٤ .

(٢) تاريخ ابن البطريق صـ ١٢ وما بعدها ، الجواب الصحيح لابن تيميه صـ ٢٤٣ .

١- فى مجمع نيقية سنة ٣٢٥م تقرر ألوهية المسيح .. فكانت التثنية .
٢- وفى مجمع القسطنطينية الأول سنة ٣٨١م تقرر ألوهية الروح القدس فكانت عقيدة التثليث التى أصبحت عقيدة النصارى [١] .

وتوالى بعد ذلك عقد المجامع المسكونية التى كانت تعقد من أجل البحث في العقيدة النصرانية .. إما لخلاف وشقاق .. أو بأوامر أباطرة الدولة الرومانية الذين كانوا يتملكون ويتحكمون فى أصحاب هذه الملة ..

ولم يستطع النصارى أنفسهم أن يتعقلوا فى هذه العقيدة .. ولكن اختلفوا فيها إختلافا بينا كما ذكر القرآن الكريم ذلك فى قوله : { فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم .. أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا .. } [٢] .

وقال سبحانه : { فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون } [٣] .

إبطال عقيدة التثليث :

بعد هذا العرض الذى تقدم يلزم وقفة لنقد هذه العقيدة - الفرية - ودحضها وذلك عن طريقين : العقل .. والنقل على نحو مايلى :

أولا : من جانب العقل :

أ- أن عقيدة التثليث لا توافق العقل ولا يستطيع عاقل أن يستوعبها .. فضلا عن أن يؤمن بها ويتخذها عقيدة . فلا يتأتى أن يكون الثلاثة واحدا .. والواحد ثلاثة .. ولم الثلاثة ؟ لماذا لم يكونوا أربعة أو خمسة أو أى عدد .. إثنان مثلا .. خاصة إذا وجد العدد على فترات متباعدة كما ذكر .

ب- بالعقل والمنطق نرى أن النصارى يعتقدون أن واحدا من هؤلاء الثلاثة « وهو الابن » قد صلب .. فإذا كان قد صلب .. فإن العقل يقول إنه ساعة الصلب وبعده يكون هناك إلهين لم يقع عليهما الصلب وليس الثلاثة .

جـ- وإذا كان الثلاثة في اتحاد دائم لا ينفكون عنه إذا فساعة أن صلب المسيح فإن الصلب يقع على الآلهة الثلاثة وليس على واحد فقط .. وذلك من أجل الإتحاد .

د- وإذا كان الصلب قد وقع على الثلاثة .. إذا يبطل أن يكونوا آلهة .. وبذلك تبطل

---

(١) المجامع المسيحية وأثرها فى النصرانية ، والنصرانية دراسة مقارنة صـ ١٥٢ وما بعدها د . محمد رجب الشتيوى .
(٢) سورة مريم / ٣٧ ، ٣٨ .
(٣) سورة المائدة من الآية / ١٤ .

هذه العقيدة ولا يصح الإيمان بها .. وإلا فكيف يعبد الإنسان إلها قد صلبه بنفسه؟
من هنا نرى أن عقيدة التثليث لا تستقيم مع عقل أو منطق ، ومهما حاولوا توضيحها وتقريبها ، فإنها تزداد غموضا على غموض ، ويكفى أن المعتقدين بها أنفسهم لا يستطيعون فهمها ، ولا تستطيع عقولهم هضمها ..
وقد ساق الشيخ - رحمه الله - الهندى في كتابه « إظهار الحق » الكثير من الأدلة العقلية التى تبين إبطال عقيدة التثليث كان آخرها :
« أن فرقة من النصارى وهى البروتستانت أنكرت على الكاثوليك اعتقادهم باستحالة الخبز إلى المسيح فى العشاء الربانى ، وأن أهل التثليث قد ضلوا ضلالا بعيدا حيث لا يميزون بين الجوهر اللاهوتى والناسوتى ، ومن ذلك أن ثلاثة من النصارى جلسوا إلى القسيس الذي علمهم أمور عقيدتهم وكانوا من أصحابه ، فلما انتهى من تعليمه لهم سأل واحداً منهم عن عقيدة التثليث فقال له : إنك علمتنى أن الآلهة ثلاثة أحدهم الذى فى السماء ، والثانى تولد من بطن مريم العذراء والثالث الذى نزل فى صورة الحمام على الإله الثانى بعد ما صار ابن ثلاثين سنة ، فغضب القسيس وطرده ، ثم طلب من الآخر وسأله فقال : إنك علمتنى أن الآلهة كانوا ثلاثة وصلب واحد منهم فالباقى إلهان ، فغضب عليه القسيس أيضا وطرده . ثم طلب الثالث وكان ذكيا وحريصا على حفظ العقائد فسأله فقال له : حفظت ما علمتنى حفظا جيدا ، وفهمت فهما كاملا بفضل الرب المسيح أن الواحد ثلاثة ، والثلاثة واحد ، وصلب واحد منهم ومات فمات الكل لأجل الإتحاد ولا إله الآن ، وإلا يلزم نفى الإتحاد (١) .
٥- ومع أن عقيدة التثليث لا يقبلها عقل ولا منطق فإننا نقول لهم من أين جئتم بهذه العقيدة ؟ هل أمركم بها المسيح ؟ أم أن ذلك التثليث قد وردت نصوصه فى المصادر المعتمدة لديكم ؟؟
وكما هو ثابت فإن المسيح عليه السلام لم يدع إلا إلى التوحيد المطلق لله رب العالمين وحاشاه أن يقول على الله الكذب .. بل إنه أعلن براءته مما عليه القوم كما أخبر بذلك القرآن الكريم .. وإذا كان الكتاب - الذى تزعمونه مقدساً - والذى تعدونه مصدرا من مصادركم فإن هذا الكتاب باعتراف القساوسة (لا يوجد به لفظ التثليث .. ولا الأقنوم بل يقول القس بطرس ديناسيوس : « إنه يوجد شعور

---

(١) إظهار الحق جـ ١ صـ ٤٩٠ / الشيخ رحمه الله الهندى .. المطبعة العلمية ١٣١٥هـ .

غريزى فى الإنسان بوجود الإله الحقيقى (١) » (٢) وكذلك نصوص الكتاب - المقدس - تناقض التثليث بالكلية .

ومن هذه النصوص ما جاء فى إنجيل متى يقول : « ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله » (متى الإصحاح ١٩ : ١٦ : ١٩) .

وفى إنجيل يوحنا : « إن الحياة الأبدية معرفة الله بالوحدانية وأن المسيح رسوله » (يوحنا ١٧ - ٣) وفى إنجيل مرقص : « أول الوصايا : أن الرب إلهنا رب واحد فأحبب الرب إلهك من كل قلبك ونفسك » الخ (مرقص ١٢ -٢٩) .

٦- من كل ذلك وما تقدم يتضح أن التثليث عقيدة وثنية ، وأن جذورها ضارية فى عدد من الأديان الوثنية .

٧- أنها لم تنتشر إلا بقوة السلطان . كما أسلفنا عن ظهور ذلك بواسطة قسطنطين فى مجمع نيقية ٣٢٥م .

٨- وإذا كان الإله ثلاثة . فكيف لم يبين ذلك للناس هذه الآماد الطويلة ، وتركهم يعبدونه على الوحدانية ؟ وبذلك يمكن أن يقال إن الإله ضلل الناس وكذب عليهم وشوه الحقيقة - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا - .

٩- وإذا كان ذلك فكيف بالرسل الذين أرسلهم الله قبل المسيح .. أيرسلهم الله بالكذب والافتراء ؟ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

بعد ماتقدم لم يبق مجال للعقل غير رفض هذه الفرية « عقيدة التثليث » .

ثانيا : الأدلة النقلية :

باستعراض الجانب العقلى مع نصوص القوم فى كتبهم لم يبق لنا إلا أن نقول ما أخبرنا القرآن الكريم به : { يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون ؟ .. اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون .. يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون } (٣) .

وتتوالى الآيات ساطعة البرهان ، قوية الحجة ، دافعة وداحضة لكل باطل ، قال عز سلطانه : { يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق .. إنما

(١) إن كلمة التثليث أو الثالوث : لم ترد فى الكتاب المقدس مطلقا بل إن الذى وضعها هو اثناسيوس فى عقيدة الإيمان النيقاوى سنة ٣٢٥م « قاموس الكتاب المقدس » .

(٢) الجوهر الفريد فى رد التثليث وتأييد التوحيد : كتاب يرد فيه المؤلف على القس بطرس ديئاسيوس ويرد على كتابه « القول الصريح فى تثليث الأقانيم وتجسيد المسيح » صـ ٥ .

(٣) سورة التوبة / ٣٠، ٣١، ٣٢ .

المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولاتقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما فى السماوات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلا .. لن يستنكف المسيح أن يكون عبدالله ولا الملائكة المقربون ... } (١) .

وتستمر الآيات فى خطاب القوم وبيان الحق ترد على القوم صنيعهم الذى فعلوه بدين عيسى عليه السلام فيقول جل شأنه : { لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بنى إسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار } (٢) وقوله فى نفس السياق : { لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم } (٣) وتأت الآية لتقرر أن المسيح بن مريم رسول الله مثله فى ذلك مثل من سبقه من الأنبياء فتقول :

{ ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل .. وأمه صديقة .. } (٤) .

ويعقب ذلك أيضا النهى عن الغلو – الزيادة – فى الدين كما حدث منهم فى قوله : { .. يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل } (٥) . ويعقب كل ذلك إعلان البراءة من هذا التثليث على لسان عيسى عليه السلام يوم يجمع الله الرسل فيقول الله لعيسى : { أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله ؟ } فما يكون الجواب من عيسى إلا كما أخبر القرآن الكريم : { ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به به أن اعبدوا الله ربى وربكم .. وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم .. فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد } (٦) .

وأمام كل ما تقدم يقف القوم عاجزون عن تثبيت فكرتهم غير قادرين على الاستدلال بأن الآلهة أكثر من واحد .. فيبطل زعمهم وافتراؤهم { أفلا يتوبون إلى الله

---

(١) سورة النساء / ١٧١ ، ١٧٢ .
(٢) سورة المائدة / ٢٧ .
(٣) سورة المائدة / ٧٣ .
(٤) سورة المائدة / ٧٥ .
(٥) سورة المائدة / ٧٧ .
(٦) سورة المائدة / ١١٧ .

ويستغفرونه والله غفور رحيم } (١) .

{ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .. ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إنك لا تخلف الميعاد } (٢) .

وختاماً فهذا جهدى وضعته بين يدى القارئ الكريم ليعمل فكره ، ويتدبر معانيه ، فالعاقل المنصف يرى الحق فيتبعه ، ويرى الباطل باطلا فيتجنبه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجميعن .

بقلم
الدكتور : إبراهيم عبدالرحمن عتلم
استاذ الدعوة المساعد بأصول الدين المنوفية
جامعة الأزهر

---

(١) سورة المائدة / ٧٤ .
(٢) سورة آل عمران / .

أهم مراجع البحث

القرآن الكريم كتاب الله عز وجل .

١- الكتاب المقدس - مجموع العهد القديم والجديد - ترجمة الكاثوليك ١٩٦٨ المطبعة الكاثوليكية ، بيروت .

٢- الكتاب المقدس - مجموع العهد القديم والجديد - طبعة البروتستانت ١٩٧٠م القاهرة .

٣- قاموس الكتاب المقدس - مجموعة من أساتذة اللاهوت / مجمع الكنائس - الشرق الأدنى ط ٢ ١٩٧١ م .

٤- الفِصلَ فى الملل والأهواء والنحل - الإمام محمد بن على بن حزم الظاهرى - دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت .

٥- محاضرات فى النصرانية - الإمام محمد أبو زهرة - دار الفكر العربى ١٩٧٢ م .

٦- مقارنة الأديان - المسيحية - د . أحمد شلبى - مكتبة النهضة المصرية ط ١٩٧٧م .

٧-عقائدنا : بحوث مقارنة بصورة الحواريين القرآن والتوراة والإنجيل - د . محمد الصادق ط ١ سنة ١٩٧٢ م .

٨- إظهار الحق - العلامة الشيخ رحمة الله الهندى - المطبعة العلمية ١٣٦٥هـ .

٩- قصة الحضارة - ول ديورانت - لجنة التأليف والترجمة والنشر - جامعة الدول العربية .

١٠- موسوعة تاريخ الأقباط - زكى شنودة - مطابع البلاغ بالقاهرة ط ٢ سنة ١٩٦٨ م .

١١- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح - للإمام بن تيميه الحرانى مطبعة المعرفى القاهرة ١٩٦٤ م .

١٢- الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة - عبدالقادر شيبة الحق - مطبوعات الجامعة الإسلامية المدينة المنورة ١٣٨٧ هـ .

١٣- الكنيسة المسيحية فى عصر الرسل - الأنبا يؤانس - أسقف الكنيسة القرية ط ١٩٧٧ م .

١٤- الإنجيل والصليب - القس عبدالأحد داود العراقى - ترجمة مسلم العراقى سنة ١٣٥١ هـ .

١٥- أديان الهند الكبرى د. أحمد شلبى .
١٦- المقارنات العلمية والكتابية بين الكتب السماوية - د . محمد الصادق الطهرانى سنة ١٣٨٨ هـ ، ط ١ لبنان .
١٧- الوصايا العشر فى العصر الحديث - القس حبيب سعد - مطبعة النيل المسيحية للكنيسة الأسقفية .
١٨- صلب المسيح وآراء الفلاسفة الغنوسطيين - عوض سمعان - المطبعة الفنية الحديثة ١٩٧١ م .
١٩- المجامع المسيحية وأثرها فى النصرانية - د. محمد رجب الشتيوى . ١٩٨٧م
٢٠- إنجيل برنابا بين الإسلام والنصرانية - د. محمود كريت - رسالة مخطوطة - أصول الدين القاهرة .
٢١- غير ذلك بهامش صفحات البحث .